أثر القرآن الكريم في الشّعر العربيّ

-شعر البحتريّ أنموذجًا-

د.الحاج علي هوارية

وحدة البحث تلمسان (الجزائر)

elhadjalihouaria79@gmail.com

تاريخ الإرسال:2019/10/15	تاريخ القبول:2019/11/19	تاريخ النشر: 2019/12/06.

الملخّص:

أبهر القرآن الكريم عقول النّاس وألبابهم وأَسَرَ قلوبهم واستولى على نفوسهم منذ نزوله على سيّد الأمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وذلك لما تميّز به عن سائر كلام البشر بجزالة الألفاظ وفصاحتها، وابتعاده عن الحوشي، وسحر بيانه وحسن وجودة سبكه. فقد تحدّى القرآن جميع الفصحاء، فوقفوا حِيَاله وقفة المبهوتين الضّعفاء الّذين لا حول ولا قوّة لهم معلنين ضعفهم وعجزهم. وقد استولى سحر ألفاظ القرآن على ألباب الأدباء والشّعراء خاصّة المعروفين بحسّهم المرهف وأذواقهم الرّاقية الرّفيعة.

والبحتري (ت284هـ) أحد الشّعراء المولعين بالاقتباس من القرآن الكريم، ويظهر ذلك جليّا في عدّة مواضع من ديوانه. فتجده تارة يقتبس لفظة أو أكثر في أبياته الشّعريّة، وتارة أخرى يضّمن آية كاملة، ويشير في مرّات أخرى إلى مجموعة من القصص القرآنيّ على نحو ما انتهجه سابقوه ممّن شاع الاقتباس من القرآن في أشعارهم.

الكلمات المفتاحيّة: القرآن، الاقتباس، الشّعراء، البحتريّ.

Abstract

The Holy Qur'an has impressed the minds of people, their hearts, and captured their hearts and captured their souls since its descent upon The Lord of the Nation Muhammad, may God pray upon him and peace be upon him, because he distinguished him from all the words of mankind by the argument of words and their eloquence, his distance from al-Hashi, the charm of his statement and the goodness and quality of his sacrimi. The Qur'an defied all the Classical and they stood by the two weak and powerless people, declaring their weakness and helplessness. The magic of the words of the Qur'an has captured the hearts of

writers and poets, especially those known for their refined sense and refined tastes.

Al-Bahtri (T284Ah) is one of the poets who is fond of quoting the Qur'an, and this is evident in several places of his diwan. You find him sometimes quoting one or more words in his poetry verses, and at other times he includes a complete verse, and refers again to a series of Qur'anic stories, as his predecessors have suggested, and the quotation from the Qur'an in their poems is common.

Keywords: The Qur'an, the quotation, the poets, EL Buhturi.

1. **تمهيد:**

القرآن الكريم كلام الله الّذي خصّ به خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وقد جاء هذا الكتاب قمّة في النّظم والبيان أبهر العرب فاتّخذوه نموذجا يحتذون به أسلوبا وفكرا وهداية. وللقرآن وجه اجتماعيّ من حيث تأثيره في العقل الإنسانيّ، وهو معجزة التّاريخ العربيّ خاصّة.[1]

ولا يشتمل كلام العرب على مثل فصاحة القرآن وغرابته، والتّصرّف البديع، والمعاني اللّطيفة، والفوائد الغزيرة، والحِكَم الكثيرة، والتّناسب في البلاغة، والتّشابه في البراعة، على هذا الطّول وهذا القِصر، وإنّما تُنسب إلى حكِيمهم كلمات معدودة وألفاظ قليلة، وتُنسب إلى شاعرهم قصائد محصورة يقع فيها الاختلال والاختلاف، والتّعمّل والتّكلّف، والتّجوّز والتّعسّف.[2] وقد حصل القرآن على كثرته وطوله متناسبا في الفصاحة، كما وصفه الحقّ تعالى في قوله: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَديث كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانيَ تَقْشَعِرُ منْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾.[3] وكذلك قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾.[4] فكلام البشر إن امتدّ وقع فيه التّفاوت، وظهر فيه الاختلال.

ولهذه الأسباب مجتمعة أقبل عليه الأدباء والشّعراء، فقد تنوّعت التّأثيرات القرآنيّة في أشعارهم على مختلف مشاربهم ومذاهبهم، قديمهم ومعاصرهم، فراحوا ينسجون على منواله تارة، ويضمّنون أشعارهم بعض الآيات القرآنيّة تارة أخرى. قال الرّاغب الأصفهانيّ (ت502هـ) مشيرا إلى هذه القضيّة: "فألفاظ القرآن هي لُبُّ كلام العرب وزُبْدتُه، وواسطتُه وكرائمُهُ، وعليها اعتقاد الفقهاء والحكماء في أحكامِهم وحِكَمِهم، وإليها مَفْزَعُ حُذّاق الشّعراء والبلغاء في نظمهم

ونثرهم".[5] وقد عوّل عليه هؤلاء في إنتاجاتهم لما فيه من جزالة اللّفظ، وبديع النّظم، وحسن السّياق، والمبادئ والمقاطع والمخالص، والتّلوين في الخطاب، والإطناب والإيجاز، فاستنبطوا منه المعاني والبيان والبديع.[6] وتسمّى ظاهرة تأثّر الشّعراء بآي القرآن القرآن الكريم بـ "الاقتباس".

2. تعريف الاقتباس:

أ. لغة: هو صفة من صفات النّار، ثمّ يُستعار من ذلك القَبَس: شُعْلَة النّار، قال الله تعالى: ﴿إِنِّي آنسْتُ نَارًا لَعلِيَّ آتِيكُمْ مِنْهَا بقَبَسٍ﴾[7]. ويقولون: قَبَسْتُ من فلان نارًا، واقْتَبَسْتُ منه عِلْمًا، وأَقْبَسْتُهُ نارًا.[8]

ب. اصطلاحا: قال السّيوطي (ت911هـ): "الاقتباس تضمين الشّعر أو النّثر بعض القرآن لا على أنّه منه، بأن لا يقال فيه قال الله تعالى ونحوه".[9] وقد سمّاه القدماء تضمينا والمتّأخرون اقتباسًا. والاقتباس من القرآن على ثلاثة أقسام:[10]

1) مقبول: وهو ما كان في الخُطَب والمواعظ والعهود ومدح النّبي صلّى الله عليه وسلّم.

2) مباح: وهو ما كان في الغَزَل والرّسائل والقَصَص.

3) مردود: وهو نسبة ما نسبه الله تعالى لنفسه إلى غيره من البشر، أو تضمين آية قرآنيّة في معنى الهزل والعياذ بالله.

3. موقف العلماء منه:

ذكر أبو بكر الباقلاّني (ت403هـ) أنّ تضمين القرآن في الشّعر مكروه، وقد اشتهر عن المالكيّة تحريمه وتشديد النّكير على فاعله، وجوّزه أئمة البيان وجعلوه نوعا من أنواع البديع.[11]

وقد تأثّر بعض الشّعراء تأثّرا بالغا بالقرآن الكريم وعلى رأسهم الشّاعر أبي تمّام (ت231هـ)، فالقارئ لشعره لا يكاد يمضي في القراءة حتّى تطالعه معاني القرآن وألفاظه، فيُخيَّلُ إليه وكأنّ الشّاعر يضع القرآن نصب عينيه يستمّد منه متى شاء. ففي قصيدته المشهورة الّتي مدح فيها المعتصم أمثلة كثيرة توضح هذا التأثّر، وكأنّ القرآن أخذ بلبّ هذا الشّاعر، واستأثر بخياله؛ ومن أمثلة ذلك قوله:[12]

مَكْرًا بَنَى رُكْنَيْهِ، إلاَّ أَنَّهُ وَطَدَ الأَسَاس عَلَى شَفِيرٍ هَارِ

وذلك في إشارة منه إلى قول الله عزّ وجلّ في محكم تنزيله: ﴿ أَفَمَنْ أَسِّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هارٍ فانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾.[13]

والبحتريّ (ت284ه) أيضا من الشّعراء المتأثّرين ببديع القرآن وحسن نظمه وجودة سبكه، ولعلّ مرّد ذلك إلى البيئة الّتي نشأ بها؛ فكان يحفظ القرآن الكريم بكتّاب بلدته، ويحفظ الكثير من الأشعار والخُطب، وكان يختلف أيضا إلى المساجد والحلقات، فتجمّعت عنده أُهبة ثقافيّة نسبيّة من علوم القرآن والتّفسير واللّغة.[14]

4. مظاهر الاقتباس في شعر البحتريّ:

قال الشّاعر مستلهما هذه الأبيات من قصص بعض الأنبياء -عليهم السّلام-:[15]

وَعَلَى غَيْرِهِنَّ أُحْزِنَ يَعْقُـــو بٌ، وَقَدْ جَاءَهُ بَنُوهُ عِشَـــاءً

وشُعَيْبٌ مِنْ أَجْلِهِنَّ رَأَى الوِحْ دَةَ ضُعَفَا، فاسْتَأْجَرَ الأَنْبيَـاءَ

واسْتَزَلَّ الشَّيطانُ آدم فِي الجَنَّة لـمَّا أَغْرَى بِهِ حَـــــوَّاءَ

يؤيّد البحتريّ في هذه الأبيات ظاهرة وَأْد البنات الّتي كانت سائدة في المجتمع الجاهليّ، ويعضد قوله هذا بعدّة اقتباسات من قصص الأنبياء عليهم السّلام يميل فيها إلى تفضيل الرّجل على المرأة لعدّة أسباب؛ فأشار إلى قول الله تعالى: ﴿وجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يبْكُونَ﴾؛[16] فيعقوب لم يحزن عليهنّ بل على ابنه يوسف -عليهما السّلام-،فممّا روي أنّ يعقوب عليه السّلام لمّا سمع بكاء أبنائه، قال: ما بكم؟ أَجَرَى في الغنم شيء؟ قالوا: لا. قال: فأين يوسف؟ قالوا: ذهبنا نستبق فأكله الذّئب، فبكى وصاح، وخرّ مغشيا عليه، فأفاضوا عليه الماء فلم يتحرّك، ونادوه فلم يجب. فوضع يهوذا يده على مخارج نَفَسه فلم يحسّ بنفس، ولم يتحرّك له عرق، فقال لإخوته: ويل لنا من ديّان الدّين ضيّعنا أخانا، وقتلنا أبانا، ولم يُفق يعقوب إلا ببرد السَّحَر.[17]

وأنّ النّبيّ شعيب استأجر دونهنّ القويّ الأمين موسى -عليهما السّلام- مقتبسا ذلك من قول الله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأجِرْهُ إنَّ خيرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ القَويَّ الأَمينَ﴾،[18] وسُميّ بذلك لاستقائه وحده بدلو ما كان يطيقها إلاّ عشرة من الرّجال أو أربعون، ولغضّه البصر، فإنّه قال للمرأة: تخلّفي عنّي فإن ضللت الطّريق فناديني من ورائي.[19]

ويرى البحتريّ أنّ الشّيطان غرّر بآدم فاستزّله وأخرجه من الجنّة بسبب حوّاء في إشارة منه لقول الله تعالى: ﴿فأَزَلَّهُمَا الشَّيْطانُ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾.[20] فهو في هذه الأبيات يرى أنّ المرء الفطن هو من يدسّ ابنته في القبر لأنّه المكان الأوْلى بها؛ فهي لا تحمل السّيف ولا تقاتل ولا تحرّك اللّواء، وهي في رأيه مُجْلِبَةٌ للعار، وهنا يظهر تشبّعه بمبادئ الجاهليّة والبداوة المأثورة في طبعه. وصحّ قول من نعته بالتقلّب في دينه وطبعه.

وممّا جاء في قوله في مدح المتوكّل على الله والثّناء عليه:[21]

عَليكَ ثيَابُ المُصْطَفَى ووَقَارُهُ وأَنْتَ بهِ أَوْلَى إذَا حَصْحَصَ الأَمْرُ

فلفظة "حَصْحَصَ" عُدّت من الفرائد، والفريدة من العِقْد هي تلك الجوهرة الّتي لا نظير لها تدلّ على عِظم فصاحة الكلام، وقوّة عارضته، وجزالة منطقه، وأصالة عربيّته، بحيث لو أُسْقِطت من الكلام عزّت على الفصحاء.[22] وقد اقتبس البحتريّ لفظة "حصحص" من سورة يوسف -عليه السّلام- لمّا قالت زوجة العزيز حينما انكشف أمرها مصداقا لقوله تعالى: ﴿والآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ﴾؛[23] أي وضح وظهر وذلك بانكشاف ما يقهره.

وقال أيضا يناصر ممدوحه ويؤيّده في حربه ضدّ أعدائه:[24]

يَحين ردَى العِدَى فِيه، ويُهْدَى لَهَا اليَومَ العَبُوسُ القَمْطَرِيرُ

فهو يصف جيش ممدوحه الّذي يحمي ويستبيح وفق ما يشاء تدليلا على القوّة والرّهبة، مستوحيا ذلك من قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَومًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[25]؛ وهو اليّوم الّذي تكلح فيه الوجوه، فهو كريه المنظر شديد هوله، عظيم أمره، تَعْبِس فيه الوجوه من شدّة مكارهه، ويطول بلاء أهله، ويشتدّ. والقَمْطَرِيرُ: هو الشّديد، يقال: هو يوم قمطرير، أو يوم قَمَاطِر، ويوم عصيب. وعَصَبْصَبٌ، وقد اقْمَطَرَّ اليّوم يَقْمَطِرُّ[26] اقْمِطْرَارًا، وذلك أشدّ الأيام وأطوله في البلاء والشدّة.[27]

وجاء في قوله أيضا:[28]

أَطْعَمَتْنَا الزَّقُومَ حينَ أَبَتَّنَا فِي خَانِهَا، وَسَقَيْتْنَا الغِسْلِينَا

ففي هذا البيت شبّه البحتريّ الطّعام الّذي أكله في ضيافة أبي المستضيء بالزّقوم؛ وهو عبارة عن أطعمة كريهة في النّار تشبه رؤوس الشّياطين، فيقال: تزقّم فلان إذا ابتلع شيئا كريها، وشبّه الشّراب بالغِسلِين وهو ما ينغسل من أبدان الكفّار من النّار؛ وهو الصَّديد المضاف إلى الزّقوم ليكونا طعاما واحدا. وقد استثمر البحتري لفظتيْ "الزّقوم" و"الغِسْلين" للدّلالة على سوء الاستقبال والتّرحيب، مقتبسا ذلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ طَعَامُ الأَثِيمِ﴾[29]، وكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾.[30]

وأنشد في مدح الخليفة المعتّز بالله والإشادة ببهاء حسن قصره وكأنّه صرح الملكة بلقيس قائلا:[31]

فَوقَ صَرْحٍ مُمَرَّدٍ منْ قَوَارِيـ ـرَ، غَرِيبِ التَّأْليفِ والتَّمْرِيدِ

وذلك في إشارة منه لقول الله تعالى:﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾.[32] فالصّرح هو سطح من زجاج أبيض شفّاف تحته ماء عذب، جارٍ فيه سَمَكٌ اصطنعه سليمان-عليه السّلام- لمّا قيل له إنّ ساقَيْهَا وقَدَمَيْهَا كقَدَميْ الحمار، فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً من الماء وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا لتخوضه، وكان سليمان على سريره في صدر الصّرح فرأى ساقيها وقدميها حِسَانًا، فقَال لها: إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّد أي: مملّس من قَوارِيرَ أي زجاج، ودعاها إلى الإسلام.[33]

وكذلك قوله في مدح محمّد بن يوسف:[34]

لَمْ يكُنْ جَمْعُهُمْ عَلَى المَوجِ، إلاَّ زَبدًا طارَ عَنْ قَنَاكَ جُفَاءَ

فقد شبّه خصوم ممدوحه بالزَّبَد الّذي طار وتناثر بمجرّد ظهور الممدوح لأنّه الأقوى وهم الضّعفاء، فممدوحه يُشبه الحِلية أو الفضّة مقتبسا قول الله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِك يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾.[35] اشتملت هذه الآية الكريمة على مَثَلَين مضروبين للحقّ في ثباته وبقائه، والباطل في اضمحلاله وفَنَائِه، فالله أَنزَلَ مِنَ السّماء ماءً؛ أي مطراً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا؛ أي أخذ كل واد بحسبه، فهذا كبير وسع كثيراً من

الماء، وهذا صغير وسع بقدره، وهو إشارة إلى القلوب وتفاوتها، فمنها ما يسع علماً كثيراً، ومنها من لا يتّسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها، فاحتمل السّيل زَبَدًا رَّابِيًا؛ أي فُجَاءً على وجه الماء الّذي سال في هذه الأودية زبد عالٍ عليه، هذا مَثَلٌ. وقوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابتِغاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ﴾ الآية، هذا هو المثل الثّاني وهو ما يسبك في النّار من ذهب أو فضّة ابتغاء حلية، أي ليجعل حلية نحاس أو حديد، فيجعل متاعاً، فإنه يعلوه زبد منه كما يعلو ذلك زبد منه، ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الحَقَّ وَالبَاطِلَ﴾ أي إذا اجتمعا، لا ثبات للباطل ولا دوام له، كما أنّ الزّبد لا يثبت مع الماء ولا مع الذّهب والفضّة، ونحوهما ممّا يسبك في النّار، بل يذهب ويضمحّل، ولهذا قال: ﴿﴿فَأَمَّا الزّبدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً﴾؛ أي لا يُنتفع به بل يتفرّق ويتمزّق، ويذهب في جانبيْ الوادي، ويعلق بالشّجر، وتنسفه الرّياح.[36]

ويضيف قائلاً:[37]

وَأَقَمْتَ الصَّلاَةَ في مَعْشَرٍ لاَ يَعْرِفُونَ الصَّلاَةَ إلاَّ مُكَاءَ

فالبحتريّ في هذا البيت الشّعريّ يمثّل استعجام القوم وبُعْدهم عن الإسلام حتّى حسبوا التّسبيح والصّلاة ضربا من اللّهو والغناء، في إشارة منه لقول المولى عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ البَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾[38]؛ فالمُكاء هو الصّفير، والتَّصْدِية التّصفيق وتوليد الصّدى. وكانت هذه إحدى عادات قريش يصفّرون ويصّفقون ويعتقدون ذلك صلاةً ودعاءً، وذلك من وساوس الشّيطان لهم ليصدّهم عن التّسبيح والتّهليل، فأنكر الله تعالى عليهم ذلك، وأخبر بقُبح فعلهم وسوء رأيهم.[39]

وكذلك قوله في مدح المستعين بالله:[40]

أَنْقَذْتَهُمْ، يَا أَمينَ اللهِ، مُفْتَلِتًا، وَهُمْ عَلَى جُرْفٍ منْ أَمْرِهِمْ، هَارِ

فهو يرى أنّ ممدوحه قد أنقذ رعيته من الوقوع في الهاوية، مستوحيا ذلك من قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَمَنْ أَسّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هارٍ فانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾.[41] يقول الله تعالى لا يستوي من أسّس بنيانه على تقوى الله ورضوان ومن بنى مسجداً ضِراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، فإنّما بنى هؤلاء بنيانهم على شفا جرف هَارٍ، أي طرف حفيرة.[42]

وقال في مدح الفتح بن خاقان:[43]

آثَارُ بَأْسِكَ فِي أَعْدَاءِ دَوْلَتِهِمِ أَضْحَتْ طَرَائِقَ شَتَّى بَينَهُمْ قِدَدَا

فهو يخبر بأنّ الممدوح فتك بأعداء العباسيّين، وأنّه غادر فيهم آثارًا تؤثر ببأسه وأنّها صارت سبلا مختلفة ومتوزّعة بينهم، وهنا يمثّل عظم الفتك بأنّه خلّف آثارًا متباينة ومتوزّعة في كلّ مكان من القوم.[44] وهو يستمدّ قوله هذا من الآية الكريمة: ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً﴾؛ [45]يقول الله تعالى مخبراً عن الجنّ أنّهم قالوا مخبرين عن أنفسهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾؛ أي غير ذلك: ﴿كُنَّا طرائِقَ قِدَداً﴾؛ أي طرائِق متعدّدة مختلفة وآراء متفرّقة.[46]

وقال أيضا:[47]

قَدْ وَجَدْنَا السُّلُوّ بَرْدًا سَلاَمًا، إِذْ وجَدْنَا الهَوَى عَذَابًا أَليمَا

في إشارة منه لقصّة سيّدنا إبراهيم-عليه السّلام- لمّا أُلقي في النّار، فقال الله تعالى: ﴿يَا نارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلاَمًا عَلَى إبْرَاهِيمَ﴾. [48] قال ابن عبّاس: لولا أنّ الله تعالى قال: ﴿وَسَلاَمًا عَلَى إبْرَاهِيمَ﴾ لآذى إبراهيم بردها. فصار إبراهيم حول النّار وهو في روضة خضراء، والنّاس ينظرون إليه ولا يقدرون عليه، وقيل أنّه مكث هناك أربعين أو خمسين يوما.[49]

وكذلك قوله في مدح بعض بني ثور:[50]

يتَصَرَّعْنَ للرّجَالِ دُنوَّ الـ ـغَيْمِ وَالوَدَقُ خَارِجٌ منْ خِلاَلِهْ

فالشّاعر يشبّه أخلاق ممدوحه بالمطر الْمُغْدِق الّذي تفرح به القوم لما يجلبه من خير وطمأنينة، مستلهما ذلك من قول الله عزّ وجلّ: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾. [51]

وقال البحتريّ في مدح أمير المؤمنين المتوكّل على الله:[52]

فَغَدَوْا حَصِيدًا للسّيُوفِ، تَكُبُّهُمْ أَطْرَافُهنَّ وَقَائِمًا كَحَصِيدِ

فهو يصوّر لنا أنّ ممدوحه حصد رؤوس أعدائه بالسّيوف كما يُحصد القمح، واستمّد ذلك من قول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الحَصِيدِ﴾. [53]يقول تعالى

ذكره: وَنَزَّلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً مطرا مباركا، فأنبتنا به بساتين أشجارا، وحبّ الزّرع المحصود من البرّ والشّعير، وسائر أنواع الحبوب.[54]

وأنشد معاتبا إبراهيم بن الحسن بن سهل على عربدته، فقال:[55]

وَقَدْ عَاقَدْتَنِي بخِلاَفِ هَذَا، وَقَالَ اللهُ: أَوْفُوا بِالعُقُودِ!

وهي إشارة منه إلى قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالعُقُودِ﴾،[56]وقد عاقدتني بخلاف هذا، وقال الله: أوفوا بالعقود هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين، بما يقتضيه الإيمان، بالوفاء بالعقود أي: بإكمالها، وإتمامها، وعدم نقضها ونقصها. وهذا شامل للعقود الّتي بين العبد وبين ربّه، من التزام عبوديته، والقيام بها أتمّ قيام، وعدم الانتقاص من حقوقها شيئاً، والّتي بينه وبين الرّسول بطاعته وأتباعه، والّتي بينه وبين الوالدين، والأقارب، ببرّهم وصِلتهم وعدم قطيعتهم. والّتي بينه وبين أصحابه من القيام بحقوق الصّحبة في الغنى والفقر، واليسر والعسر، والّتي بينه وبين الخلق من عقود المعاملات، كالبيع، والإجارة، ونحوهما، وعقود التبرّعات، كالهبة ونحوها، والقيام بحقوق المسلمين.[57] وهذا تضمين ظاهر صريح لأنّه أشار إلى قول الله تعالى.

وكذلك قوله:[58]

تَشوَفَ أهلُ الغَرْبِ، فارْمِ بعَزْمةٍ إِلَى إرَمٍ، إذْ مَانَعَتْ، وَعِمَادِهَا

ففي هذا البيت يشير إلى بعض الثّائرين في الغرب ويحفّز الخليفة على إبادتهم مثل إرم ذات العِماد، وقد استوحى هذا من قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ، إِرَمَ ذَاتِ العِمَادِ ﴾،[59] فإِرَمَ هي عادٌ الأولى وذَاتِ العِماد؛ أي الطّول، فقد كان طول الطّويل منهم أربعمائة ذراع.[60]

وقال البحتريّ أيضا:[61]

وَرَمَى سَوَادَ الأَرْمَنِينَ، وَقَدْ عَدَا في عُقْرِ دَارِهِمِ قَدَارُ ثَمُودِ

فهو يبيّن لنا محاربة ممدوحه للأرمن، وأنّه أنزل فيهم ما أنزله قدار عاقر ناقة النّبي صالح-عليه السّلام-، مستلهما ذلك من قول الله تعالى:﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا، إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾؛[62] فثمود كذّبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطّغيان والبغيّ، وقال محمّد بن كعب: بطَغْوَاهَا أي

بأجمعها، فأعقبهم ذلك تكذيباً في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم من الهدى واليقين، إِذِ انبعث أشقاها؛ أي أشقى القبيلة وهو "قَدَارُ بنُ سَالِف" عاقر النّاقة.[63]

الخاتمة:

وخلاصة القول لقد شاع القَصَص القرآنيّ في ديوان البحتريّ عامّة في مختلف أغراضه الشّعريّة من مدح وهجاء وغزل ووصف؛ كقصص آدم ويوسف وثمود وشعيب وسليمان-عليهم السّلام-، وكذلك الإشارة إلى بعض الأحكام كالوفاء بالعقود، واستعمال بعض مصطلحات أهل جهنّم؛ كالزّقوم والغسلين...

وإن كان البحتريّ متقلّبا في دينه وفي طباعه في بعض المواقف، إلاّ أنّ المطّلع على ديوانه يدرك تشبّعه بالثّقافة الإسلاميّة، ومعرفته بالقرآن الكريم، واطّلاعه على أحكامه وقصصه ومعانيه وصوره، ويظهر ذلك جليّا في تقليده الواضح لصياغة بعض الآيات القرآنيّة الكريمة، وتضمينها أشعاره. وقد جاءت مجمل اقتباساته من القرآن الكريم من النّوع المباح الّذي يخدم غرض المدح الّذي اشتهر به البحتريّ.

الهوامش:

1-ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، ص97.

2- ينظر: إعجاز القرآن، ص36.

3-الآية23 من سورة الزّمر.

4-الآية 82 من سورة النّساء.

5- المفردات في غريب القرآن، ص4.

6- ينظر: المرجع نفسه، ص101.

7-الآية10 من سورة طه.

8-معجم مقاييس اللّغة، مادّة –قبس)، ج5، ص48.

9-ينظر: الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص111.

10-ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص112.

11-ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص567.

12-شرح ديوان أبي تمّام، ج1، ص336.

13-الآية109 من سورة التّوبة.

14-شرد ديوان البحتريّ مع مقدّمة في سيرته وشعره، ج1، ص6.

15-ديوان البحتريّ، ج1، ص41.

16-البرهان في علوم القرآن، ج1، ص567.

17-ينظر: الدّلالة الإعجازيّة في رحاب سورة يوسف عليه السّلام، ص56.

18-الآية26 من سورة القصص.

19-ينظر: درج الدّرر في تفسير القرآن الكريم، ج2، ص420.

20-الآية36 من سورة البقرة.

21-ديوان البحتريّ، ج2، ص70.

22-ينظر: الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص250.

23-الآية51من سورة يوسف.

24-ديوان البحتريّ، ج2، ص914.

25-الآية10من سورة النّساء.

26-ينظر: تفسير وبيان كلمات القرآن الكريم، ص579.

27-ينظر: تفسير وبيان كلمات القرآن الكريم، ص579.

28-ديوان البحتريّ، ج3، 2323.

29-الآية43 من سورة الجنّ.

30-الآية36 من سورة الحاقّة.

31-ديوان البحتريّ، ج1، ص729.

32-الآية44 من سورة النّمل.

33-ينظر: تفسير وبيان كلمات القرآن الكريم، ص380.

34-الدّيوان، ج1، ص17.

35-الآية17 من سورة الرّعد.

36-ينظر: تفسير وبيان كلمات القرآن الكريم، ص251.

37-ديوان البحتريّ، ج1، ص17.

38-الآية35 من سورة الأنفال.

39-ينظر: درج الدّرر في تفسير القرآن العظيم، ج1، ص733.

40-الدّيوان، ج2، 858.

41-الآية109 من سورة التّوبة.

42-ينظر: : تفسير وبيان كلمات القرآن الكريم، ص240.

43-الدّيوان، ج2، ص719.

44-ينظر: شرح ديوان البحتريّ، ج1، ص150.

45-الآية11 من سورة الجنّ.

46-ينظر: : تفسير وبيان كلمات القرآن الكريم، ص572.

47-الدّيوان، ج4، ص2057.

48-الآية69من سورة النّساء.

49-ينظر: تحفة النّبلاء من قصص الأنبياء للإمام الحافظ ابن كثير، ص202.

50-الدّيوان، ج2، ص206.

51-الآية48 من سورة الرّوم.

52-المرجع السّابق، ج2، ص700.

53-الآية 9 من سورة ق.

54-ينظر: : تفسير وبيان كلمات القرآن الكريم، ص518.

55-الدّيوان، ج1، ص578.

56-الآية 1من سورة المائدة.

57: ينظر: تفسير وبيان كلمات القرآن الكريم، ص287.

58-الدّيوان، ج2، ص678.

59-الآيتان6و7 من سورة الفجر.

60-ينظر: تفسير وبيان كلمات القرآن الكريم، ص593.

61-الدّيوان، ج2، ص700.

62- الآية11 من سورة الشّمس.

63-ينظر: تفسير وبيان كلمات القرآن الكريم، ص595.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1. عبد الرّحمن جلال الدّين السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن، د. ط، دار ومكتبة الهلال، لبنان، د.ت.
2. ، أبو بكر محمّد بن الطّيّب الباقّلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: السّيّد أحمد صقر، د. ط، دار المعارف، مصر، د. ت.
3. مصطفى صادق الرّافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، راجعه واعتنى به: درويش الجوَيدِي، المكتبة العصريّة، لبنان، ط3، 1424هـ/2003م.

4. بدر الدّين بن عبد الله الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، شرحه: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلميّة، لبنان، 1408هـ/1988م.
5. الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحفة النّبلاء من قصص الأنبياء للإمام الحافظ ابن كثير، ضبطه وعلّق عليه: غنيم بن عبّاس بن غنيم، تقديم: السّيّد بن حسين العفّاني، ط1، مكتبة الصّحابة، الشّارقة، ومكتبة التّابعين، القاهرة، 1419هـ/1998م.
6. حسنين محمّد مخلوف، تفسير وبيان كلمات القرآن الكريم، ط5، اليمامة للطّباعة والنّشر، دمشق، 1418هـ/1998م.
7. دُرج الدُّرر في تفسير القرآن العظيم المنسوب إلى عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ)، دراسة وتحقيق: طلعت صلاح الفرحان ومحمّد أديب شكور، ط1، دار الفكر، عمّان، 1430هـ/2009م.
8. عمر محمّد عمر بحاذق، الدّلالة الإعجازيّة في رحاب سورة يوسف عليه السّلام، ط1، دار المأمون للتّراث، دمشق، 1417هـ/1997م.
9. ديوان البحتريّ، تحقيق وشرح: حسن كامل الصّيرفي، ط3، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
10. الخطيب التّبريزيّ، شرح ديوان أبي تمّام، تقديم: راجي الأسمر، ط2، دار الكتاب العربيّ، بيروت، 1414هـ/1994م.
11. إيليا حاوي، شرح ديوان البحتريّ مع مقدّمة في سيرته وشعره، ط1، الشّركة العالميّة للكتاب، لبنان، 1996م.
12. أحمد بن زكرياء بن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، ط1، دار الجيل، لبنان، 1411هـ/1991م.
13. أبو القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، د. ط، مركز الدّراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، د. ت.